

الأساليب الإرشادية النفسية وفتياتها في التعامل مع ضحايا الإبادة الجماعية

Psychological Counseling Styles and Their Techniques in Coping with Genocide Victims.

أ.م. د. جاسم محمد عيدي

الجامعة المُستنصرية- كُلية التربية.

Jassim_tht@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص البحث:

لقد أثرت الإبادة الجماعية على المُجتمعات البشرية منذ العصور القديمة، وفي العصر الحديث كانت الإبادة الجماعية ظاهرة عالمية، من المذابح في أميركا المُستعمرة وإفريقيا وأستراليا.. إلى محرقة يهود أوروبا والموت الجماعي في الصين الماوية وكمبوديا وفلسطين وبورما ، وفي واقعا العراقي كانت الأنفال وحبجة وإبادة أهالي الأهوار وسبايكر وسنجار مصداقاً للإبادة الجماعية في بلادنا، وفي السنوات الأخيرة تطورَ نظام دراسات الإبادة الجماعية لتقديم التحليل والفهم للظاهرة وفهم سايكولوجيا العنف وكذلك تطور الإرشاد والمساعدة النفسية للناجين ضمن سايكولوجيا الناجين من الإبادة الجماعية، ولما كان الإرشاد النفسي وكفرع تطبيقي لعلم النفس فأنه يُساهم في مُساعدة الأفراد الناجين من هول الإبادة الجماعية.. على التبصر وإدراك مكامن تمكنهم النفسي وصلابتهم وإستثمار أفضل الخيارات والموارد والفرص المُتاحة لهم (Gladding, 1996). لذا يأتي البحث الحالي لإستعراض عددٍ من الأساليب الإرشادية وفتيات هذه الأساليب مع ضحايا الإبادة الجماعية، ودورها في تجاوز خيرات الإبادة المؤلمة التي تعرض لها هولاء الأفراد، ويخلصُ البحث الى إستنتاجاتٍ ومقترحاتٍ في أن يُصبح الدعم والمُساعدة النفسية ضرورةً وقيمةً عُليا تفرضها الأعتباراتُ الأنسانيةُ والأخلاقيةُ والدينية، ويوصي بإعتماد إستراتيجية وطنية تتبناها الدولة في جُل مؤسساتها في إنشاء مراكز إسنادٍ ودعم لضحايا الإبادة.

Abstract

Genocide has affected human societies since ancient times, and in the modern era the genocide is a global phenomenon: from the massacres in colonial America, Africa and Australia.. to the Holocaust of European Jews and mass death in Maoist China, Cambodia, Palestine and Burma, and in our Iraqi reality there are what is known as the Anfal, Halabja and the genocide of the people of Marshes, Speicher and Sinjar are examples

for the genocide in our country, and in recent years the system of genocide studies has developed to provide analysis and understanding of the phenomenon and an understanding of the psychology of violence as well as the development of counseling and psychological assistance for survivors within the psychology of genocide survivors, and since psychological counseling as an applied branch of psychology it contributes to helping individuals survivors of the horror of the genocide.. to see and realize their psychological strength and resilience and to invest the best options, resources and opportunities available to them (Gladding, 1996). Therefore, the current research comes to review a number of counseling styles and their techniques with the victims of genocide, and their role in overcoming the painful experiences of extermination to which these individuals were exposed. The research concludes with a number of conclusions and suggestions in making the support and assistance necessity and higher value imposed by human, ethical and religious considerations. The research also recommends to adopt a national strategy that the state has to adopt in most of its institutions in establishing support and assistance centers for victims of genocide.

تمهيد:

في سيكولوجيا الإبادة الجماعية ترى "كريستن مونرو" وزملائها رؤية غاية في الخطورة وهذه الرؤية مُبتناة على إنَّ نظرية الهوية الاجتماعية تدعو الى كثير من القلق لِأنَّها تُوحى إنَّ الإبادة الجماعية والعنصرية ربما لا تكون في الحقيقة سوى إمتدادٍ مُتطرفٍ للسلوك الجماعي العادي والتماهي الطبيعي مع الجماعة!! والنظريات السلوكية العامة كنظرية الهوية الاجتماعية لا تستطيع على اية حالٍ إيضاح الاسباب التي تأخذُ معها الهويات الاثنائية أحياناً شكلَ سلوكياتٍ مُتطرفة، فالتصنيف الاجتماعي الذي تُبنتى عليه نظرية الهوية الاجتماعية له دورٌ كبير في التفكير بطريقة "نحن" و"هم" وهو يُذكرنا في إننا حين نتماهى مع جماعة نميلُ الى تضخيم الفروق بيننا وبين الآخرين والى تضخيم العداء للجماعات الاخرى في كثير من الاحيان ونميلُ بالمقابل الى تعزيز التعاون داخل جماعتنا وتعزيز فعاليتها. وفي تعريفها للإبادة الجماعية ترى إنَّها تدميرٌ مقصودٌ ومُنهجٌ للبشر ليس بسببِ أفعالٍ فرديةٍ او ذنوبٍ إرتكبوها وإنما بسببِ إنتمائهم الى جماعة قوميةٍ او اثنائيةٍ او عرقيةٍ او دينيةٍ، وتوجدُ مجموعة عواملٍ لوقوع الابادة، بعضها موقفي والآخر أكثر نزوعية منها التصنيفات الاثنائية الواضحة وعوامل موقفية كالضائقة الاقتصادية وعدم الاستقرار السياسي او الحرب والثورة فينقسم المجتمع على نفسه وبشكلٍ مؤقتٍ او دائمٍ الى عناصرٍ مُتصارعةٍ وفقاً للخطوط الاثنائية القائمة داخله وتمثلُ هذه الخطوه خطوةً مهمةً في عملية الابادة ولكنها لا تقود بالضرورة لذبح أعضاء جماعةٍ على يد جماعةٍ أخرى، وفي العاملِ الثالث تأتي التصورات الذهنية المُتبادلة اذ لا بدَّ للجماعات المُختلفةٍ تاخذ في النظر الى جيرانهم على إنَّهم الاخرون ولا بدَّ من النظر اليهم نظرةً نمطية كما لا بدَّ من التعامل معهم بوصفهم كبشٍ فداءٍ، لتحميلهم اللوم على ما تواجه الضحية من ظروفٍ صعبةٍ. وما يؤكد نظرية

"مونرو" هو إنَّ الإبادة الجماعية تحدث داخل مُجتمعاتٍ مُختلطةٍ اصلاً وإنَّ اللامساواة المُزمنة في المشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها تفتحُ الطريقَ لحدوثِ الإبادة وخصوصاً عندما يكون هُنَاكَ تاريخٌ طويلٌ للصراع بين الجماعات، والذي يؤكد العامل الثاني هو ظهور أوضاع اقتصادية وسياسية تُزعزع الأستقرار وتهددُ النظامَ الاجتماعي ومصدق ذلك ما حَصَلَ في البلقان، اما العامل الثالث فيؤكدُه إنَّ الإبادة الجماعية نتاج الأحقادِ القديمة وغياب الضابط الحقيقي للواقع كما هو الحال في يوغسلافيا عندما كان الاتحاد السوفيتي هو الضابط! لكن هذا التحليل لا يصمد لأنَّ يوغسلافيا لم تكن خليفٌ لهم، او إنَّ الضائقة الاقتصادية التي نجمت عن تفكيك الترتيبات الاقتصادية القائمة والدخول سريعاً في المياه الباردة نظام السوق العالمي كان له أثره في هذه الإبادة كما حَصَلَ في راوندا عندما تدفق التوتسي الى البلاد ونقص الاراضي أرسى لاحقاً الى عدم إستقرارٍ إقتصادي ومهدد للربح والإبادة؛ هذه الشروط الموقفية تمثل قوة حاسمة ملازمة لحالات الإبادة. الأ أنَّها ليست كافية لوحدها بل من وجود مجموعة خطواتٍ مهدت للإبادة، وترى "مونرو" إنَّ الإبادة الجماعية نفسياً تمثل بظهور نوع من الايديولوجية التي تعمل على إعطاء الشرعية وتبرير الذبح الذي يقع ويأخذها التبرير شكلاً علمياً غريباً فالمثير للسخرية هو الإعتقاد بالحمية البيولوجية تم توظيفه لتبرير الإبادة الجماعية والتطهير العرقي وتصويرها على إنَّها حربٌ مقدسة لتحرير الجسم السياسي من الانسجة المريضة!! إذا تُصبح الإبادة الجماعية إجراءً علمياً واقياً من العدوى التي ياتي بها وسطاء التلوث العنصري الذي يُنظر اليهم بوصفهم فطريات وبكتيريا مسببة للمرض والتدهور والموت لدى الشعوب المُضيضة، وينجم عن تلك الايديولوجيا الراديكالية تجاه لشيطنية جماعة الأقلية والشعور بالتفوق العنصري والديني عليهم (هوتون، 2015، ص293-299).

المحور الأول: الوقاية..

لما كان الإرشاد هو عملية المساعدة النفسية للأفراد والتي تتضمن إجراء تعديلات في العمليات النفسية التنموية لمدى طويل، بما في ذلك التكيف المهني والتعلم العسكري والتخطيط لديناميكيات الأسرة والتخطيط لمرحلة الشيخوخة وإعادة التأهيل بعد الإعاقة، Matsumoto, 2009, (P.137). فالمنهجية الوقائية ويُطلق عليها أحياناً منهج **التحصين النفسي** ضد المُشكلات والاضطرابات التي يُعانيها الأفراد وهو منهج يهتم بالأسياء والأصحاء في محاولة وقائية ضد حدوث المُشكلات والاضطرابات، وتهدف هذه المنهجية الى محاولة منع المُشكلات بإزالة الأسباب المؤدية الى ذلك، كما إنَّها تعمل على الكشف على المُشكلات السلوكية والانفعالية في مراحلها الأولى مما يُسهل التصدي لها ومواجهتها، ولها ثلاثة مستويات وتتضمن هذه المنهجية إجراءات وقائية نفسية وتتضمن رعاية النمو النفسي السوي ونمو المهارات الأساسية (أبو أسعد، 2011، ص34-35).

من مُقدمات اساليب الوقاية من الإبادة الجماعية هي:

- 1- يستطيع الزعماء أن ينهضوا بصورة إيجابية عن مجتمعاتهم من خلال **الكلمات والافعال** ومثال لذلك ما فعله "ريتشارد نيكسون" حينما بادرَ بإجراء مُحادثاتٍ مباشرة ودودة مع زعماء الصين، كذلك ما قام به الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات مع "رابين" بالمصافحة باليد، وما انعكس بعد ذلك باتفاقيات **أوسلو** بانخفاض مُعدل العمليات الاستشهادية الفلسطينية.
- 2- **للميديا دورٌ قوي في خلق التغيير الإيجابي بين الجماعات المُتخاصمة** إذا ما غَضَضْنَا النظر عن كونها كثيراً ما تُضخمُ العداء بين الجماعات ذاتها! فدور الأعلام والعمليات النفسية في حشد وتهيئة الرأي العام له بالغ الأثر فضلاً عن إرتباطه بالأهداف القومية للدولة خاصةً زمن الحروب

وإعداد الدولة للدفاع ومن دون إغفال أهمية التنسيق بين مختلف المستويات (ابو نصر، 2010، ص7). ولكن أساليب الوقاية تؤكد على الدور الايجابي للميديا من خلال التصوير المتعاطف للجماعة الاخرى وقيمها وعاداتها وثقافتها وأهدافها واسلوب حياة أعضائها...فإن كل هذا سينهض ويؤسس لمواقف إيجابية لدى الجماعة الاولى، وعضواً عن اللجوء الى كيش فداء والايديولوجيات المقسمة لاستجابات أفراد الجماعة الواحدة في ظل أوضاع حياتية صعبة يُمكن للقادة والزعماء أن يُنتجوا خُططاً للمستقبل، تضمن للمجموعات كافة وبجهودٍ مشتركة تحسين الحياة.. وتعتبر الولايات المتحدة زمن "روزفلت" وخلال فترة الكساد الكبير خيراً مثال على ذلك، وأن كانت المشاكل المجتمعية ليست بالحجم نفسه مع مواقف الإبادة الجماعية، كذلك حدثت المصافحة التاريخية بين "رابين" و"عرفات خلال اتفاقيات "كامب ديفيد" و"وسلو" ويمكن أيضاً للأطراف الأخرى ان يلعبوا دوراً مهماً.

3-يمكن للتغيرات البنائية المجتمعية مثل التغيرات الاقتصادية أن تلعب دوراً مهماً في الوقاية من الإبادة الجماعية وخير مثال على ذلك في ايرلندا الشمالية مثلاً ساهم الرخاء المادي الكبير والفرص الاقتصادية الكبيرة للأقلية من الكاثوليك في تعزيز احتمالات وبناء السلام، العناصر المتتورة من الحُكام البريطانيين تبناوا هذا التغيير، وبشهادة الامم المتحدة فإن التنمية الاقتصادية هي الطريق لخفض العداء بين الجماعات، فتحسين حياة الفئات المُهمشة في المجتمع والتقليل من اوجه عدم الانصاف والعدالة قضايا مهمة في القضاء على الخلافات، فتحسين الوضع الاقتصادي يكون فعالاً وشغالاً على المدى القصير، فالنمو الاقتصادي ايضاً قد يكون له جنّباتٍ عرضية إذ إنه قد يساهم في إيجاد المشاكل فتُصبح الجماعات المُميّزة هي المستفيدة الاولى من هذا النمو الاقتصادي مما يُولد من جديد الشعور بالظلم، كما أن التنمية الاقتصادية لها انعكاسات وتغيرات اجتماعية عميقة، تستصحب معها آثاراً نفسية ويتمظهر ذلك بقوة عندما يكون الصراع مؤججاً والأطراف المتصارعة قد أوغلت أذى ببعضها، وهنا يكون العمل النفسي ضرورةً للتغلب على العداء والكرهية...ولكن هذه العمل والبناء النفسي لن يكون ذا جدوى وغير مُحتمل الحدوث دون تغيراتٍ بنائية هيكلية على المُجتمعات المتصارعة.

بناء العلاقات والإرتباطات المتداخلة والمتشابكة والإنخراط العميق من قبل أفراد الجماعات المتنازعة إن تُحدث فرقاً وإختلافاً مهماً بالتقليل من العنف...وخيراً مثال لذلك ما حدث في أيرلندا الشمالية وإسرائيل (قبل عام ٢٠٠٠) إذ غالباً ما ساهمت المنظمات المحلية المتكونة من أعضاء للجانبين في التقليل وخفض العنف، وفي تجاربٍ أخرى في مقدونيا ساهم الصحفيون الذين ينتمون لمجموعاتٍ عرقيةٍ مُختلفةٍ بكتابة قصصٍ تناولت حياة الناس بكل مجموعة ونشرها في صحفٍ كُل مجموعة، وفي ميدان علم النفس الاجتماعي لطالما أكد العلماء على أهمية الاتصال والذي يعني العملية او الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسقٍ اجتماعيٍ مُعين يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المُتضمنة فيه، فالاتصال عملية اجتماعية اساسية ولايستطيع المجتمع الإنساني العيش دونها، لقاء مايقدمه من نقلٍ للمعاني والأفكار والبعد النفسي والاجتماعي للاتصال لا يرى إنَّ هناك علاقةً مباشرةً وبسيطةً بين الاتصال والتاثير وإنما تدخل في الاعتبار المتغيرات النفسية والاجتماعية التي يجري الاتصال وفقاً لها ويمارس تاثيره من خلالها(عودة، 1989، ص3-75). وترى أدبيات الاتصال بضرورة تحديد شروط هذا الاتصال للتقليل من العداء وإنَّ الاتصال السطحاني غير الجوهري وغير الاصيل هو بالضرورة غير فعال ولا يُساعد خاصةً مع الجماعات المتجاورة وحتى يُصبح هذا الاتصال فعالاً.. لا بد من أن يتضمن انخراطاً وتجاوباً مع الاخر، وهناك شروطاً أخرى تُحقق الاتصال الايجابي ومنها المساواة بين المتعاونين ودعم وإسناد وتعزيز السلطات. وهذه الشروط

لابدً من تهيئتها وتفعيلها داخل المجموعات المتداخلة أو المتشابكة، وكدلالة على ذلك ما حصل في إيرلندا الشمالية من التواصل بين الطلبة البروتستانت والكاثوليك قد خفص من مناسيب التوتر والتعصب حين اصبح الانتماء للمجموعة المتداخلة هو الامر الواضح والاهم...وعلى الطلبة ان يتذكروه دائماً اثناء تشاركهم وتفاعلهم في هذه المجموعات(سيرز وآخرون، 2017، ص1217).

المحور الثاني: اساليب الوقاية..

من بيت الاساليب الإرشادية المهمة للتصالحية بين الجماعات هما **إسلوب التوفيق وإسلوب تقليل الحساسية التدريجي** وهذا الأخير يُعدُّ واحداً من أفضل الاساليب في تخفيف الازمات وهو يعود للعالم النفسي الكبير "جوزيف وولبي" (1915-1997). ويعمل هذا الاسلوب على إضعاف وتخفيف المخاوف والقلق والغصاب باعتماد عملية تدرجية خطوة خطوة، وعند استخدام هذا الاسلوب فإن الأفراد الذين يعتمدونه يعانون من مخاوف مرضية ومشكلات أساسها القلق وفي الوقت نفسه لديهم قدرة الوصول للاسترخاء والتخيل وإضافة بُعد اللون والصوت والحركة على الموقف وفي هذا الاسلوب مجموعة من المراحل تبدأ بالتدريب على الاسترخاء العضلي العميق إذ كلما قلَّ التوتر قلَّ معه القلق، وعلى الأفراد أن يعرفوا إنَّ زيادة التوترات العضلية تُضعف قدرة الانسان على التوافق والنشاط البناء والانتاجية (ابو أسعد وعربيات، 2009، ص147). اما **إسلوب التوفيق الإرشادي** فهو من الاساليب المهمة والذي سنتناوله في أدناه..

أسلوب التوفيق الإرشادي:

تكتسب المقاربات المفاهيمية لمفهوم حل الصراع أهمية كبيرة ومن أمثلة هذه المفاهيم المقاربة مفهوم **التفاوض** ومفهوم **المساومة** ومفهوم **التوسط** ومفهوم **التحكيم**، وتكمن هذه الأهمية في منع تصاعد أو استمرار العنف وتحويل الصراع، وأحياناً ينتج عن هذه المفاهيم اتفاق توقعه الاطراف بما يمثل إقراراً و رمزاً للنهاية الرسمية للصراع، وفي حالات أخرى كما حصل في رواندا قد يتوقف العنف من خلال الهزيمة العسكرية للمجموعة الاثمة أو المعتدية، إلا إنَّ نهاية **الصراع النشط** أو العنف حتى وإن كان محصلة لاتفاقيات سلام رسمية لا يعني بداية علاقات سلمية حقيقية.. فالحلول التي تخضع للتفاوض قد تُرضي لدرجة ما القادة وبعض شرائح المجتمع إلا إنَّ بعض أعضاء إحدى المجموعتين المتصارعتين قد لا يقبلونها وحتى أن قبلوها فهم كثيراً ما يستمروا بالتمسك بمعتقدات وآراء قد تساهم في إعادة إيقاد العنف.. وفي حالات عديدة يصبح **إسلوب التوفيق** ضرورة لمنع الدورات المستمرة من العنف، ويسمح ببناء علاقات مستقرة وسلمية بين مجموعتين على إثر **الصراع المتصلب** أو **العنف الجمعي**، ويعتبر **إسلوب التوفيق** عملية ونتيجة في الآن نفسه.. فأهدافه القريبة تسعى الى إحداث تغيرات نفسية في توجه أعضاء المجموعات نحو بعضهم البعض وفي فهمهم للماضي وفي نظرتهم للمستقبل المشترك، وفي ماهيتهم وعلاقاتهم بالطرف الآخر؛ **إسلوب التوفيق** عملية تحدث بشكل طبيعي وعادة ما تكون بطيئة وفي أوضاع عديدة تتطلب جهداً نشيطاً لتسهيلها والتغلب على العوائق الاجتماعية والثقافية والنفسية المانعة لتطور هذا الأسلوب ونجاحه، وتعتمد طبيعة هذا الاسلوب ومحصلة على خصائص المجموعات. وظروفها، وربما تكون المجموعات جزءاً من الكيان السياسي نفسه كي تستمر في العيش معاً! كما هو الحال في نيكاراغوا وجنوب افريقيا؛ وربما تكون كيانات سياسية منفصلة كما هو الحال في اسرائيل ومصر؛ أيضاً هل كان العنف يرتكب من قبل مجموعة واحدة ام كان عنفاً متبادلاً؟ لقد ركزت فنيات بناء السلام وبشكل كلاسيكي على المظاهر البنائية لإجتراح أو تكوين علاقات بين الاطراف المتنازعة في الماضي، ويفترض إنَّ المساواة في التفاعل بين

الأطراف مع وجود إعادة هيكلة اقتصادية وسياسية تؤدي إلى صلاتٍ تعاونيةٍ من شأنها أن تُنتج استقراراً في العلاقات السلمية.

الأدبيات الأكاديمية ركزت على مثل هذه البنى الإرتكازية التي تستند عليها عناصر أسلوب التوفيق ولعل أبرز هذه البنى الإرتكازية هي الحفاظ على قنوات الاتصال والمشاورات بين الزعماء وممثلي المجموعات وخفض التهديد والتوتر بنزع السلاح و نزع الصفة العسكرية وتطوير تجارة حرة ومفتوحة ومشروعات اقتصادية تعاونية وتضمن كافة المجموعات في نظام القوى وبناء مساواة وعدالة هيكلية وحقوق إنسانية ومدنية و حوكمة سياسية ديمقراطية وصنع مساواة في الفرص وإعادة توزيع الثروة.. ولعل من الحظ السوء ألا تتضمن هذه المقاربات المفاهيمية علاقات وراوطة وصلات سلمية دائمة مستمرة، وقد تنهض هذه العلاقات عبر الزمن بتوفيق ذي مغزى وسلام مستمر خاصة عند تدعيمها وإسنادها للاتصال العميق بين أعضاء المجموعة في سياق الجهود المشتركة... ولكن كثيراً ما يندلع العنف مرة أخرى قبل حدوث ذلك بالإضافة إلى أن تلك المقاربات تعوقها مشاعر العداء والكراهية التي لا تزال قائمة. (سيرز وآخرون، 2017، ص1215-1217). ولما أصبحت العملية الإرشادية علم له منهاج وخطط متعددة وبأساليب متعددة تبعاً لعدد من الأدبيات الإرشادية فضلاً عن تعدد مشكلاته وتنوعها والتي يواجهها الفرد والجماعات سواء كانت تلك المساعدات الإرشادية نمائية أم وقائية أم تداخلية علاجية؛ وهذه الأساليب هي علمية وتقنية تعمل على تنمية ميوله وتوافقه مع البيئة وتعد هذه الأساليب الإرشادية المنطلق الأساس للإرشاد وما يقدم من خدمة إرشادية متميزة للأفراد ذوي الحاجة إليها وتعد تلك الأساليب جزءاً من الإرشاد النفسي لأنها تسعى إما لتعديل السلوك أو لتغيير الاتجاهات أو تنمية مهارات وقدرات كلها جميعاً تستهدف إلى تعديل الشخصية الإنسانية وتنمية وجعلها أكثر رُقياً وإستعداداً وقُدرة لحل مشكلات المواجهة المواقف الصعبة وتنمية القدرات الإيجابية (التيمي والشمري، 2021، ص47-59). ويُعد أسلوب التوفيق أحد هذه الأساليب الإرشادية ويُعرف أسلوب التوفيق على أنه قبول متبادل من أعضاء مجموعات تُعادي بعضها البعض في الماضي وجذر هذا القبول في الابنية المجتمعية والعمليات النفسية المتضمنة والعاملة مباشرة في تطوير مثل هذا القبول والحفاظ عليه. والقبول الحقيقي يعني الثقة المتبادلة مع الآخر والموقف الايجابي والحساسية والاعتبار تجاه حاجاته ومصالحه، ويصعب الوصول إلى النتائج المثلى وفقاً لهذا الإسلوب نتاجاً لما عاشته هذه المجموعات من صراعات.. إسلوب التوفيق عملية تنقل المشاركين في إتجاه تلك النتائج وعادةً مع وجود بعض الانتكاسات أثناء السير على طريق التوفيق.

عناصر التوفيق:

يتطلب إسلوب التوفيق تغيرات نفسية أساسية في البنى النفسية لشرائح واسعة من الجماعتين المتصارعتين سابقاً؛ ويمكن التمييز بين عناصر عملية التوفيق ووسائل حدوثها، وتتضمن العناصر المقترحة العدالة والذاكرة الجمعية المشتركة وتضميد الجراح والصفح ، وفي العدالة فإن الناس ينشدون العدالة من وجودهم بمعنى إنهم ينشدون توزيع عطايا الحياة على أساس معيار مُحدد يتحقق فيه منظورهم عن الحق والصواب والخير؛ لكن هذا المعيار ظل منيعاً على التحديد أو الاتفاق بل إن التاريخ البشري يُمكن النظر إليه من زاوية إنّه تاريخ الصراعات الدامية من أجل فرض معيارٍ موحدٍ للعدالة، ويرى البعض إن العدالة تجرّيد في عالم العقل لا سبيل لتطبيقه في عالم الواقع وإن الذي جرى تطبيقه من العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ما هي إلا محاولات يُقصد من ورائها الحفاظ على الحقوق التي أقرها القانون الطبيعي والاخلاقي! ويذهب

البعض مذهباً مُتفائلاً بقولهم إنَّ الطبيعة البشرية قد إرتقتْ عبْرَ التاريخ ما خلق لدى الفرد نوعاً من الرقابة الذاتية التي تُلزمه بإحترام قاعدة "عاملُ الآخرين بمثل ما تُحب أن يُعاملوك به" ومن ثم أصبح هذا الفرد يمتلك شعوراً داخلياً بالعدالة، و يتبنى آخرون موقفاً نسبياً بقولهم إنَّ العدالة ما هي إلا تجلٍ لنفوذ الأقوياء في اي زمان؛ فالأفراد الأكثر قوة يُصبحون أكثر نجاحاً وفي النهاية يقنعون أنفسهم والآخرين بأن وسائلهم لتحقيق الأرباح والمحافظة على مكانتهم ليست مقبولة فحسب ولكنها مرغوبة وأخلاقية وعادلة أيضاً، ويرى "فرويد" (1856-1939) ضرورة العدالة بوصفها مطلباً اجتماعياً حتمياً للحد من عدوانية الفرد، إذ يرى في كتابه "قلق الحضارة" إنَّ الحياة المشتركة ممكنة إذا شكلت الغالبية تجمعاً أقوى من قوه كلِّ عضوٍ من أعضائه للمحافظة على تلاحم متين في مواجهة كلِّ فردٍ وعندها تقف سلطة الجماعة بوصفها موقف المعارضة حقاً تُجاه سلطة الفرد الموصوف بالقوة الغاشمة(نظمي، 2019، ص69-86).

الذاكرة الجمعية المشتركة. أثناء عملية القتل الجماعي او الصراع يكون للأطراف آراءً مُتنافرةً ومُتضادةً عن الصراع وتاريخ علاقاتها ويبدو إنَّ صنْع رأي ووعي مُشترك أمرٌ بغاية الأهمية لتحقيق أسلوب التوفيق؛ رُغم عدم وضوح طبيعة وكيفية بناء وصنْع مثل هذا الرأي بالضرورة، ويُسمى هذا الرأي المُشترك بالذاكرة الجمعية المشتركة، وترى بعض الأدبيات إنَّ إعادة بناء الذاكرة الجمعية المشتركة عنصرٌ أساس وبنية أصيلة في أسلوب التوفيق الإرشادي؛ فالذاكرة هي المحور الأساس ذو الأهمية الكبيرة لكل العمليات العقلية وهي القوة التي تكمن وراء كل نشاطٍ نفسي وعقلي إذ بدونها يرى الفرد تكراراً للحياة ولا يستطيع تعلمها وايضاً بدونها لا يمكن أن نمذ الماضي ونستفيد منه في المُستقبل مروراً بالحاضر (الإيزرجاوي، 1991، ص9).

والذاكرة هي إعادة بناءٍ للماضي ينتقل من القوة الى الفعل، وهي إطارٌ في الواقع أكثر مما هي محتوى وتضم مجموعة من الاستراتيجيات فهي موجودٌ قائم والتجارب منها ستكون مستظاهرة، فالذاكرة تُصنَعنا ونحن نصنع الذاكرة، والذاكرة والهوية مُرتبطتان إرتباطاً لا ينفصم (كاندو، 2009، ص3-11). وترتبط الجماعات والمُجتمعات والثقافات وتحددُ بجملة من المُعتقدات والخبرات والذكريات التاريخية المُشتركة، والتي تعمل على شدِّ هويات الأفراد للجماعات الاجتماعية، والذكريات التاريخية والتي قد تكون أحداثاً ثابتةً عايشها كلُّ أعضاء الجماعة، او ذكرياتٍ مُستلمة، والقوية من هذه الذكريات سواء كانت حقيقية او مُخترعة فهي ممكن أن تُشكل جذراً للحروب والصراعات والوطنية والهويات الثقافية، فالتاريخ يُمثلُ مصدراً أساسياً للخبرات الجمعية في المُجتمعات المتنوعة فتلك الخبرات التي تنعكس إيجاباً وسلباً على طبيعة الحركة الفردية والجمعية في تلك المُجتمعات، إلا إنَّه لا يكتسب تلك المصدرية من وقائعه الموثقة كتابياً او شفهيّاً او مادياً وإنما من نتيجة مرور تلك الوقائع عبر موشور البنية النفسية المعرفية - الانفعالية للأفراد والجماعات، وآليات تفاعل تلك البنية مع العوامل السياقية، الحافةً بديناميات تكوين وديمومة وتغير تلك السرديات التاريخية او بتعبير آخر تُمثل الأحداث والشخصيات التاريخية في الذاكرة (جبر، 2018، ص23). والذاكرة الجمعية المشتركة، يستدعي تكوينها بناء حقيقةً مُشتركة وقبول الاطراف لهذه الحقيقة عن الماضي، كما يجب الاعتراف بأهمية سرد الماضي المُتنازع عليه وبقيمة هذا السرد المُتنازع عليه؛ سردية الماضي تُمثلُ ثيمةً لاستمرار الصراع وهو عقبة تحول دون بناء السلام، ومن أجل بناء السلام لا بد لكل مجموعة أن تُعترف بدورها في تأجيج النزاع والانخراط في العنف ومسؤوليتها عن هذا الصراع، ومن الفنيات المُعتمدة في ذاكرة جمعية مُشتركة:

1- التفاوض: وأحدى الفنيات المُعتمدة في بناء سردية جمعية مُشتركة هي التفاوض والذي من خلاله يتم الوصول الى تزامنٍ في قصة المجموعتين وإفراز سردٍ جديد، ومع مرور الوقت قد

يكون هذا السرد الجديد بديلاً يُعوض ويُشبع الذاكرة الجمعية المُتعدده ويعمل كمعادلٍ موضوعي للسردية القديمة، وهذا ما نجحت فيه المفوضية الفرنسية الألمانية للمؤرخين وكانت خيرَ مثالٍ لفنية التفاوض هذه، فخلال خمسينيات القرن الماضي كانت قد فحصت وبشكلٍ نقدي كافة الأساطير الخاصة بالعداء المتوارث بين الشعبين الألماني والفرنسي وراجعت هذه المفوضية كتب التاريخ القائمة وكتناج نهائي لعملها أنتجت المفوضية سرداً جديداً لتاريخ الأمتين، غير إن مثل هذه المفاوضات عادةً ما تكون مُستحيلة حين تكون الجراح لم تندمل وتُبلسم بعد.. والآلام ما زالت حادة. ولا بدّ لفنياتٍ وعملياتٍ أخرى مثل **تضميد الجراح** أن تكون سابقة لها والمثال الأبرز لذلك ما حصل في راوندا عندما أكدت مجموعة من الزعماء بشدة على أهمية **الذاكرة الجمعية المشتركة**؛ ولكن هذه المجموعة من الزعماء إستدركت بأن هكذا نموذج يُعدّ إنموذج مثالي قد يصعب تحقيقه عملياً، في ذلك الوقت على الأقل.

2-تضميد الجراح والصفح: الجدَل الأكاديمي يرى إنَّ الجراح النفسية الناتجة عن سنوات العنف والحزن والألم والشعور بالغضب والرغبة بالثأر وبانهم الطرف الذي كان ضحية... لا بدّ أن يعترف بها الطرف الآخر والاطراف الخارجية، ويقترح هذا الجدَل إنَّ أسلوب التوفيق حتى يكون فعالاً يستدعي عملية تضميدٍ جماعيةٍ وصفحاً عن سوء أفعال الخصم، ويبتنى تضميد الجراح هذا على الاعتراف بالآلام ومُعانة الطرف الآخر ومُساعدة أعضائها علي إختبار خبراتهم المؤلمة تحت ظروفٍ أكثر أماناً، ودعمهم في تأبين خسارتهم والتأكيد على تجربة الألم واللوعة التي مروا بها وإظهار التعاطف والدعم والإسناد والتعزيز، تضميد الجراح يُهيأ لمساحة يُمكن من خلالها تقديم وقبول الصفح عن الآخرين والمُسامحة **Forgiveness of Other** (سيرز، 2017، ص122). فأغلب الأفراد مُستعدون اولياً على الأقل للاستجابة مع المتجاوزين بالأشكال الأخرى من السلوك السلبي كتجنب الاتصال مع الأفراد المتجاوزين أو البحث عن الثأر والانتقام فعندما يصفح الفرد عن الآخرين فهم يُوقفوا هذه الدوافع للانتقام أو البحث عن الثأر، لذلك فإنَّ احتمالية الحفاظ على العلاقات بين الأفراد تكون مُنسجمة وهادفة للخير وتزداد أكثر مع الأفراد المتجاوزين ، فعندما يصفح الناس عن الآخرين فإنَّ تصوراتهم عن المتجاوزين أو المسيئين أو للموقف المتجاوزة لم تُعد تُثير لديهم دوافع التجنب أو الرغبة بالثأر، وإنما لا بدّ أن يشعروا الفرد الصافح بعودة الدوافع المحركة للخير، **فالصفح** هو ليس دافعاً بحد ذاته بقدر ما هو تغييرات مُعقدة اجتماعية إيجابية في الفرد ودوافعه، **والصفح** هو تأطير التجاوز بصورة مُدركة كاستجابة الفرد لتجاوز أو عدوانٍ مُعين؛ حيث إنَّ هذه التجاوزات تتحول من الجانب السلبي الى الجانب الإيجابي وكذلك قد يكون هدف **الصفح** شخصاً أو عدة أفرادٍ أو موقفٍ يراه الفرد خارج إمكانية سيطرته مثل الكوارث الطبيعية أو القدر، فعندما يصفح الفرد عن الآخرين ويقرُّ بحصول التجاوز فبعد ذلك يقوم بالعمل المعرفي والوجداني والسلوكي الضروري لإعادة تأطير العدوان بحيث إنَّ استجابتهم للعدوان لم تُعد سلبية، وتذكر الأدبيات إن **الصفح** يُعرف على إنَّه استعداد ذو مجموعة من الأفكار والمشاعر والسلوكيات التي يُدركها الفرد بشكلٍ يُغير الفرد من الجاب السلبي الى الإيجابي باتجاه الآخرين؛ وهو تركيبة مُتجانسة ومجموعة من التغييرات الاجتماعية التحفيزية الإيجابية التي تحصل عند تعرض الفرد الى الجور أو الظلم أو التعدي فالأفراد الذين لديهم استعداد **للصفح** عن الآخرين يميلون الى أن يكونوا أكثر مقبولية عاطفياً أو إنفعالياً ويكونوا أكثر إستقراراً (جاسم، 2018، ص17-19) ويُعدّ الصفح ذا قيمة عالية خصوصاً في حالات المسؤولية غير المتساوية عندما يُنظر لطرفٍ على إنَّه المسؤول المباشر لاندلاع الصراع أو العنف أو استمراره؛ فللمسامحة والمغفرة رمزية فهي تعني الابتعاد النفسي عن الماضي، وإنَّ عملية التضميد والصفح والمُسامحة صعبة للغاية؛ خاصة في المُجتمعات شديدة الإنقسام مثل جنوب

أفريقيا وأيرلندا الشمالية.. إن لم تكن مُستحيلة! إنَّ **إسلوب التوفيق** لا يدورُ حولِ المُسامحةِ والصفحِ عن الأفعالِ الفظيعةِ التي ارتكبتُ في سياقِ التمييزِ العنصري، لكنّها تدورُ حولِ كيفيةِ مشاركةِ الجميعِ في بناءِ مُجتمعٍ جديدٍ، وباعتمادِ نظرةٍ تمييزيةٍ بينَ مفهومَي تضميدِ الجراحِ والمُسامحةِ، نجدُ هناكَ مساحةً بينهما فَبَعْدَ العنْفِ الحادِ يَصْعَبُ التفكيرُ في المُسامحةِ والصفحِ، وايضاً يَصْعَبُ فهمُ طبيعتها، فمن المُهمِ استبانةُ توقيتِ ودرجةِ موضوعِ المُسامحةِ والغفرانِ.. بمعنى هل المطلوبُ مُسامحةِ الأثمينِ أو أعضاءِ المجموعةِ الأثمةِ الذين لم يرتكبوا أثماً؟ وفيما نُعزِّزُ المُسامحةَ والصفحَ من إحتِمالاتِ نجاحِ **إسلوبِ التوفيقِ** يبدو تضميدِ جراحِ الماضي أكثرَ قيمةً.. إلاَّ إنَّ المُسامحةَ والصفحَ تبدو مُتجزئةً في التوفيقِ التامِ والقبولِ الحقيقيِ للآخر، إنَّ فهمَ المؤثراتِ التي أنتجتُ أفعالَ آثمةٍ بغضِ النظرِ عندَ فظاعتها؛ يُساهمُ في التئامِ الجراحِ وقد يكونُ ايضاً طريقاً لقبولِ الآخرِ.

إنَّ **تضميدَ جراحِ الماضي** فيما يرتبطُ بالإحساسِ بأنَّ طرفاً ما.. كانَ ضحيةً لطرفٍ آخرِ امرٌ ضروريٌ لمنعِ تجددِ العُنْفِ، وبدونِ **تضميدِ الجراحِ** وحينَ تستمرُّ الاطرافُ بالعيشِ معاً قد يؤدي الغضبُ والرغبةُ في الثأرِ الى تأجيجِ العنْفِ من قبلِ الضحايا السابقين، بالإضافةِ لذلكِ فعدمُ تضميدِ الجراحِ قد يُنتجُ ردَّ فعلٍ الضحايا السابقين تُجاهِ التهديدِ الى أنْ يُصبحوا مُنتجين للعنْفِ بإتجاهِ مجموعاتٍ أخرى لم تُسهمُ في الآمهم، **تضميدِ الجراحِ** للشخصياتِ الأثمةِ قضيةٌ ضروريةٌ ايضاً فربما هولااءِ الأثمون هُمُ نتاجُ لجراحِ أُصيبوا بها وتَسببتُ بأفعالهم، فضلاً عن ذلكِ قد يتعرضُ الأثمونُ او حتى أعضاءِ المجموعةِ الأثمةِ لجراحٍ بشكلٍ مُباشرٍ من خلالِ العُنْفِ الحادِ الذي انخرطوا او انخرطتُ فيه مجموعاتهم؛ فأفعالهم وردودُ أفعالهم الدفاعية تُجاهِ العُنْفِ الحادِ سوفَ تُخفَضُ من قابلياتهم على التعاطفِ او الشعورِ بالذنبِ وقُدريتهم على التوافقِ في المراحلِ القادمة، و عوضاً عن ذلكِ يتجهوا وباستمرارٍ في إلقاءِ اللومِ على ضحاياهم او أعدائهم السابقين حتى وان تم إيقافهم وإنزالِ الهزيمةِ بهم او التوصلِ لاتفاقيةٍ تُنهي هذا الصراعِ المُتصلبِ، تضميدِ الجراحِ يُساعدُ على إثباتِ الذاتِ ورفعِ مناسيبِ الثقةِ في الآخرين والعالمِ، **إسلوبِ التوفيقِ** لا يبدأُ العملَ به ومن المستحيلِ أنْ يبدأُ إلاَّ **بتضميدِ الجراحِ** ولاسيما حينَ تستمرُّ المجموعاتُ المتناحرةُ سابقاً في العيشِ معاً قد لا ينبغي تضميدِ الجراحِ الذي يقتضي مُسبقاً درجةً من الأمنِ، والراجحُ إنَّه يتبعهُ صنْعُ تاريخٍ مُشتركٍ وذاكرةٍ جمعيةٍ جديدةٍ (سيرز، 2017، ص 1217-1222).

فنياتِ **إسلوبِ التوفيقِ الإرشادي**:

من **الفنياتِ والاستراتيجياتِ** التي تعتمدُ كأساسٍ لتفعيلِ **إسلوبِ التوفيقِ** وبعضُ هذه الفنياتِ هي جزءٌ من السياساتِ الرسميةِ للدولِ والبعضُ الآخرُ يتمُّ تنفيذهُ بصفةٍ غيرِ رسميةٍ، وسنحاولُ هنا تقديمَ توصيفاتٍ لهذه الفنياتِ التي أعمدتُ في **إسلوبِ التوفيقِ** مع الإيادةِ الجماعيةِ والقتلِ الجماعيِ والصراعِ المُتصلبِ للتوفيقِ بينِ الدولِ وكذلك داخلِ الدولةِ الواحدةِ.

أولاً. فنيةُ الإعتذارِ:

يعتبرُ الإعتذارُ المُقدمُ لمجموعةٍ أخرى اعترافاً بمسؤوليةِ إيقاعِ الضررِ بها ومناشدةً للضحايا للعفو والصفحِ عنهم، ويتضمنُ **الإعتذارُ** التزاماً بإقامةِ الحقِ والعدالةِ، كما إنَّ **الإعتذارُ** يصنعُ نقلةً نفسيةً عندَ الضحايا تُساعدُ على تضميدِ الجراحِ والعفو؛ ولعلَّ من خيرِ الامثلةِ على **الإعتذارِ** هو الاتفاقُ التشيكي الالمانى الخاصِ بالعلاقاتِ المتبادلةِ وتطورها المستقبلي والموقعِ في كانونِ الثاني عام 1997 إذ يُعدُّ مثلاً عن **الإعتذارِ** المتبادلِ، وقد قُبلتُ المانيا المسؤولةُ عن أحداثِ ومواقفِ الحربِ العالميةِ الثانيةِ، كما أعربتُ المانيا عن أسفها للمُعانةِ والضررِ الواقعين على

الشعب التشيكي فيما أعرب التشيكي عن أسفه للمعاناة والضرر الواقعين على الالمان الذين طردوا من منطقة "سودتن" بعد الحرب وكما تشير هذه الحالة وتدل على إن هناك حاجة الى الزمن وتبلسم الجراح كي تتمكن المجموعات من الاعتذار خصوصاً إذا ما علمنا إن الحدث حصل عام 1997 والحرب العالمية الثانية إنتهت سنة 1945.

ثانياً. مفوضية الحقيقة:

تستبين هذه مفوضية الحقيقة ما حدث بالفعل.. كما إنَّها ترفع النقاب عن إنتهاكات الحقوق المدنية وحقوق الانسان والتمييز والعنف الذي ترتكبه المؤسسات الرسمية من دول ومجموعات وافراد، وفي السنوات الاخيرة خرجت عن مفوضيات الحقيقة أشكالاً أخرى في جنوب افريقيا و تشيلي والارجنتين السلفادور والهندوراس واوروغواي وراوندا ولعل أبرز مفوضية حقيقة هي مفوضية جنوب افريقيا للحق، التي حصلت على إهتمام بالغ؛ فالوصول الى الحقيقة والاعتراف بمعاناة وآلام الضحايا يساعدهم على تضييد جراح، كما إن التوثيق لسلكيات وأفعال الأثمين يقلل من احتمال شعورهم او إدعائهم إنهم ضحايا كما يُقدم أصلاً وأساساً للتاريخ الجماعي الذي يأخذ في الاعتبار كافة الادوار..فالحقيقة كثيراً ما تكون مُعقد ومركبة وصعبة البلوغ.

ثالثاً. المحاكمات العامة:

تقدم المحاكمات العامة الفرص للوصول للحقيقة والاعتراف بمعاناة الضحية وتحقيق الرغبة متصلة الجذور في الأخذ بالثأر، كما تُشبع الحاجة الى العدالة و بالأقاء مسؤولية ارتكاب الجرائم على أشخاص مُعينين تُقل هذه المحاكمات من المسؤولية الجمعية للمجموعة التي ينتمي اليها الأثمون وقد تُساعد مُعاقبة الأثمين على منع تكرار هذا العنف الجمعي؛ إذ إنَّها توضح إنَّ الجناة يُمكن الامسك بهم ومحاكمة المتهمين وإنزال القصاص والعقاب بهم، كما قد تُساعد على إشباع الحاجات الاساسية للضحايا من الأمن والهوية الايجابية والفهم العميق للواقع، وقد تمت إقامة مُحاكمات نيرمبيرغ ومحكمة جرائم الحرب لمحاكم الأثمين في يوغسلافيا السابقة وراوندا كما أُقيمت المحكمة الجنائية الدولية عام 2002 في جزء منها لتأدية تلك الوظائف.

رابعاً. دفع التعويضات:

يعتبر دفع التعويضات إقراراً بالذنب والأسف من جانب الأثمين وقد يكون قبولها خطوة من جهة الضحايا في اتجاه الاستعداد للمصالحة والمثال الأبرز كمصداق لما نقول هو التعويضات التي دُفعت لضحايا من التشيكي من قبل الحكومة الألمانية لمعاناتهم خلال الاحتلال الالمانى من 1919 الى 1945 ويساهم تحسين الأوضاع الاقتصادية للمهمشين أثناء العنف المُرتكب ضد مجموعتهم بالشكل المُهم في الشعور بالعدالة والانفتاح على تداخلية أسلوب التوفيق الإرشادي.

خامساً. التعليم:

يُعد التعليم أداة إستراتيجية مهمة لتنجيز وتحقيق أسلوب التوفيق الإرشادي ويتمظهر أغلبه بالتعليم على السلام وبناء السلام في المدارس ويتضمن ايضاً الدعم والاسناد بفهم بذور العنف بين الراشدين ويهدف تعليم السلام الى التأثير على المعارف والادراكات والمشاعر والاتجاهات والدوافع وحتى يكون فعالاً لابد له من أن يحوي التعليم والتعلم إجراءات التطبيق وذلك عبر التجربة وتسنلزم هاتان الوظيفتان (التعليم والتعلم) تدريب المعلمين حيث تستلزم الوظيفة الاولى تحديد الاهداف التعليمية وإعداد المنهج كما يتطلب التعليم من خلال التجربة تطوير مناخ مدرسي ملائم، ويحوي علاقات وصلات إيجابية بين الطلبة والمدرسين وبين الأقران ويستلزم ايضاً بناء

جماعات في الفصول والمدارس ومشاركة الطلبة في النظام الذي يهضُّ بالاتجاهات الإيجابية نحو الناس بشكل عام ونحو أفراد المجموعة الأخرى بشكل خاص؛ إذا كانوا حاضرين، وتحسين المسؤولية بإتخاذ الإجراءات بالنيابة عن الآخرين وبالتالي بالنيابة عن السلام، إنَّ التعليم الحقيقي على بناء السلام يستلزم نوعاً من تنشئة الاطفال الذي يطور الأهتمام بالآخرين والأهتمام بالناس من خارج المجموعة التي ينتمي اليها الفرد بما في ذلك المجموعة التي سبقَ الحطُّ من قدرها، في المُجتمعات التي يعترئها الصراع في امريكا الجنوبية يتناولُ التعليم على بناء السلام القضايا المُتعلقة بحقوق الانسان ومَنع العنف الجمعي واللامساواة الاقتصادية وفي ايرلندا الشمالية يوظفُ التعليم على بناء السلام برامج من على التفاهم المُتبادل، يهدفُ الى بناء ثقافاتٍ حقيقية للسلام في الانظمة المدرسية البروتستانتية والكاثوليكية وفي اليابان يتناولُ التعليم الفصائع التي ارتكبتها اليابانيون خلال الحرب العالمية الثانية فضلاً عن تناوله لمعنى الاعتذار.

سادسا. المشروعات المشتركة:

يمكنُ للمشروعات المشتركة أن تطور الصلات والروابط بين أعضاء مجموعتين وقد تحوي تلك المشروعات النخب والمهنيين بالإضافة الى المجتمع المحلي الأكثر اتساعاً فهي تُقدمُ فرصاً للمُقابلات الشخصية التي من خلالها يستطيعُ الخصوم السابقون أن يُنتجوا علاقاتٍ شخصية وكل ما أنجزت ونجحت تلك المشروعات في إنتاج انخراط وانغماس عميق تحت ظروفٍ ايجابية كلما زاد احتمالُ فعاليتها في التغلب على العداء السابق، فضلاً عن ذلك قد تبني المشروعات المشتركة اعتماديةً بينيةً وأهدافاً مشتركةً، ومُحصلاتٍ تعودُ بالنفع على أعضاء المجموعتين، تتنوعُ المشروعات المشتركة بأشكالٍ مُتعددةٍ وخير الامثلة لذلك عملية التوفيق الفرنسية الألمانية وهي مشروعُ توأمة بين مدينتين، بين عام 1950 و عام 1962 نتاجهُ كان تكوين 125 شراكة بين المُدن الفرنسية والألمانية، وبحلول عام 1989 كان هذا المشروع قد امتد ليتسع ويتضمن 1300 مدينة؛ كما تجاوزَ المُدن ليتضمنَ علاقات توأمة بين المدارس الثانوية والجامعات (سيرز وآخرون، 2017، ص1220-1223)

المحور الثالث: إنموذج تطبيقي لإسلوب التوفيق في العالم الواقعي..

من الأمثلة على التدخل الإيجابي لإسلوب التوفيق الإرشادي للنهوض بتضميد الجراح والصفح هو ما حصلَ في راوندا على إثر الابادة الجماعية التي حصلت في هذا البلد مُتضمناً تقييماً تجريبياً عن فعاليتها، فتضميد الجراح يستلزم الانخراط والانغماس بتجربةٍ دراميةٍ والحصول على إسنادٍ وتعزيزٍ وتعاطفٍ من الآخرين ويستلزم أيضاً إعادة الاتصال مع الآخرين وهو ما قد يحصلُ جزئياً من خلال هذا الإسنادِ والتعاطفِ، إنَّ حديثاً في مجموعاتٍ صغيرةٍ عن خبراتها مع الدعم من بعضهم البعض قد يدعمُ تضميدَ الجراح ويُصبحُ آليةً وأداةً للتوفيق بينهما؛ لاسيما حينما يُتاحُ تضمين أعضاء من المجموعتين، وهذا ما أعتمد كأحد عناصر التدريب المُستخدم في راوندا، فالتواصل بين الأفراد لفظياً عن قتلى أعرأء لديهم وكيفية تمكّنهم من البقاء أحياء وتحديثهم أيضاً عن أصولهم الأسرية المختلطة واختبائهم خلال الابادة الجماعية بسبب الام المنحدرة من "التوتسي" واعتبارهم أعضاء من المجموعة الاثمة بعد الابادة الجماعية لانحدارهم من أبٍ من "الهوتو" لقد تعاطفوا ودَعَمَ بعضهم البعض، وتضمنَ التدريب أيضاً عناصر نفسية تعليمية ومحاضراتٍ موجزةٍ تلتها مناقشاتٍ مُستفيضةٍ وتضمنتُ الموضوعات ضغوط ما بعد الصدمة على الأفراد لمساعدتهم على فهم تجاربهم وآليات تضميد الجراح؛ كما تضمنتُ تَعَلُّم كيفية تبادُ الابادة الجماعية مُقترنةً بالأمثلة عن الابادة الجماعية والقتل الجماعي، لقد بدأ وكان المشاركين من "التوتسي" قد شعروا بأدبيتهم، فاذا كانت الابادة الجماعية ورُغم فضاعتها

درامياتها قد حدثت في بقاع أخرى فهي عمليات إنسانية مفهومة وإن الذي حَدَثَ اذا في "راوندا" لا يستبعدهم من المجتمع الإنساني؛ إضافة لذلك لا بدّ من الأخذ بالاعتبار للقوى المساعدة للثمين والذي أفسح عن نقلة نفسية في موقفهم تجاه الاثمين، لقد صرّح المشاركون إنّ تفهيم لجذور الابداء الجماعية سوف يُمكنهم من إتخاذ إجراءاتٍ وقائيةٍ فالتدخلات المقصودة باعتماد أسلوب التوفيق الإرشادي المُبتنى على إستراتيجيات الحوار لحل الصراع في المجموعات الصغيرة ينذرُ تقييمها وإذا ما حَصَلَ فإنّ ذلك التقييم يكونُ أساساً من قبيل الطرفية! لقد تمَّ إعداد تقييم رسمي لها للتدخل ليس مع المشاركين ولكن مع الناس بعد خروجهم لقد عمل المشاركون في التدريب مع هيئاتٍ غير حكوميةٍ تعملُ مع مجموعاتٍ في المجتمع المحلي، ثم عمل بعضهم لاحقاً مع مجموعاتٍ حديثة التكوين لمدة ساعتين ومرتين في الاسبوع لمدة ثلاثة أسابيع لأدماج تلك المقاربة المستخدمة في التدريب مع مقارباتهم التقليدية وقد عمل المُنسقون الآخرون الذين لم يحصلوا على التدريب مع مجموعةٍ حديثة التكوين باستخدام أسلوبهم التقليدي، وكان لهؤلاء المشاركين في تلك المجموعات طرق لقياس تجارب الصدمات وأعراضها وقياس جديد لتوجه الآخر الذي تمّ تنفيذه قبل التدريب ومباشرة بعد التدريب وبعد مرور شهرين، ولم يحصل المشاركون في المجموعة الضابطة على تدريب ولكنهم خضعوا لتلك القياسات النفسية في الوقت ذاته تقريباً وضمّت المجموعة أعضاءً من قبيلتي "الهوتو" و"التوتسي" لقد تضاءلت أعراض الصدمة للمشاركين في المجموعة المتكاملة من التجربة الاولى الى الثالثة، وبالمقارنة بالمجموعات الأخرى لقد أصبح توجهاتهم نحو أعضاء المجموعة العرقية الأخرى أكثر إيجابية بمقارنة التجربة الاولى بالتجربة الاخيرة وبمقارنة المشاركين في المجموعات التقليدية مع المجموعة الضابطة، لقد تكونت الزيادة في التوجه الايجابي من النظر الى الابداء الجماعية على أساس كونها عملية ذات أصولٍ مُعقدة والأعراب عن الرغبة في العمل مع المجموعة الأخرى لتحقيق الأهداف المهمة مثل المُستقبل السلمي والصفح بدون شروط والتعبير عن الرغبة في العفو الى إعتراف أعضاء المجموعة الأخرى بأفعالهم واعتذارهم عنها، وخلاصة القول ثمة وسائل مختلفة للنهوض بعملية التكيف والتوافق النفسي فضلاً عن عناصر مُجددة تُساهم في ذلك، ومثالاً قد يحدث تضميد الجراح من خلال إعتراف الشهود وحفلات التأبين والحفلات التي تحوي مجموعاتٍ كثيرةٍ من الأفراد فإنها تُعزز الانخراط في تجارب الآخرين وبتقديم الدعم الا إنّ إعتراف الشهود والتعبير لا بدّ أن يكون من النوع الصحيح والأفائة قد يُساهم في الاحتفاظ بالجراح، حتى يحدث التضميد ويتكامل أسلوب التوفيق بالنجاح لا بدّ للتأبين أن يصل ويربط الناس بعضهم ببعض وأن يُشير الى مُستقبلٍ مُشتركٍ وواعد، وكلما أسندت وعززت سياسات وممارسات مؤسسات الدولة او الدول والقيادات تداخلية أسلوب التوفيق العلاجية الإرشادية الموصوفة آنفاً كلما كان من الأرجح أن تكون هذه التداخلية أكثر فعالية؛ وستلزم هذه التغيرات الإدراكية والوجدانية مزيداً من الآليات ويعتمد المزيج الأمثل على طبيعة الصراع وحجم العنف الجمعي وعلى مدى مسؤولية أحد الأطراف او الطرفين معاً عن اندلاعه وعن سوء التصرف وتاريخ العلاقات السابقة بين المجموعات وثقافة المجموعات المُنخرطة ووجود مواردٍ إقتصادية وإنخراط الجماعة الدولية وما الى ذلك ولعل واحدة من أهم القضايا هي تطوير المعرفة عن أكثر الوسائل افادة تحت ظروف معينة (سيرز وآخرون، 2017، ص1210-1229).

الإستنتاجات:

- 1- إنّ أسلوب التوفيق لا يتحقق إلا بإشتراطاته الأصلية المُتمثلة بالإقتصاد والإعلام الصادق النويا في بناء تصالحية حقيقية وايضاً بدورٍ مُبرزٍ للزعماء.
- 2- لا يعني أسلوب التوفيق تدويب المبادئ والهوية الأصلية لأي طرفٍ للعملية التوفيقية.

المُقترحات:

- 1- إعتقاد أساليب أخرى غير أسلوب التوفيق الإرشادي ذات الإشتراطات الأقل كلفة.
- 2- تعميم تجربة التصالحية وإعتقاد أسلوب التوفيق الإرشادي في بلدنا العراق.
- 3- المصادر:
- 1- سيرز وآخرون (2017). *المرجع في علم النفس السياسي*، ترجمة: ربيع وهبة وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- 2- الأزيرجاوي، فاضل محسن (1991). *أسس علم النفس التربوي*، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر.
- 3- ابو نصر، سامية (2010). *الأعلام والعمليات النفسية في ظل الحروب المعاصرة واستراتيجية الحروب*، القاهرة، دار النشر للجامعات.
- 4- كاندو، جويل (2009). *الذاكرة والهوية*، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.
- 5- جبر، لؤي خزعل (2018). *الذاكرة التاريخية والثقافة السياسية*، دراسة نفسية في ديناميات العجز المتعلم الجمعي في المجتمع العراقي، بيروت، دار الرافدين.
- 6- التميمي والشمرى، محمود كاظم وسلمان جوده (2012). *الأساليب والبرامج الإرشادية*، بغداد، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي.
- 7- الشمسي، عبد الأمير (20). *علم النفس العام*، بغداد.
- 8- جاسم، مروه منير (2018). *الصفح عن الآخرين وعلاقته بالسعادة الحقيقية*، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.
- 9- نظمي، فارس كمال (2019). *الإعتقاد بعدالة العالم.. الوهم والضرورة*، بيروت، دار الرافدين.
- 10- عودة، محمود (1989). *أساليب الإتصال والتغير الإجتماعي*، الكويت، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- أبو أسعد وعربيات، أحمد وأحمد (2009). *نظريات الإرشاد النفسي والتربوي*، عمان، دار المسيرة.
- 12- هوتون، دايفيد باتريك (2015). *علم النفس السياسي*، ترجمة: ياسمين حداد، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 13- أبو أسعد، أحمد (2011). *العملية الإرشادية*، عمان، دار المسيرة.

Gladding, R.K. (1996). *Counseling: a comprehensive*. Englewood, New Jersey: Prentice Hall.

Matsumoto, D. (2009). *The Cambridge Dictionary of Psychology*, London, Cambridge University press.